المملكة العربية السعودية
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

التفسير البسيط للقرآن الكريم

إعداد

د. حسن محمد باجودة
أستاذ الدراسات القرآنية البيانية
وعميد كلية اللغة العربية
جامعة أم القرى بمكة المكرمة

الطبعة الأولى

الجزء الثاني عشر

منشورات الأمانة العامة لمسابقة القرآن الكريم الدولية

التفسير البسيط للقرآن الكريم

إعداد

د. حسن محمد باجودة
أستاذ الدراسات القرآنية البيانية
وعميد كلية اللغة العربية
جامعة أم القرى بمكة المكرمة

الطبعة الأولى

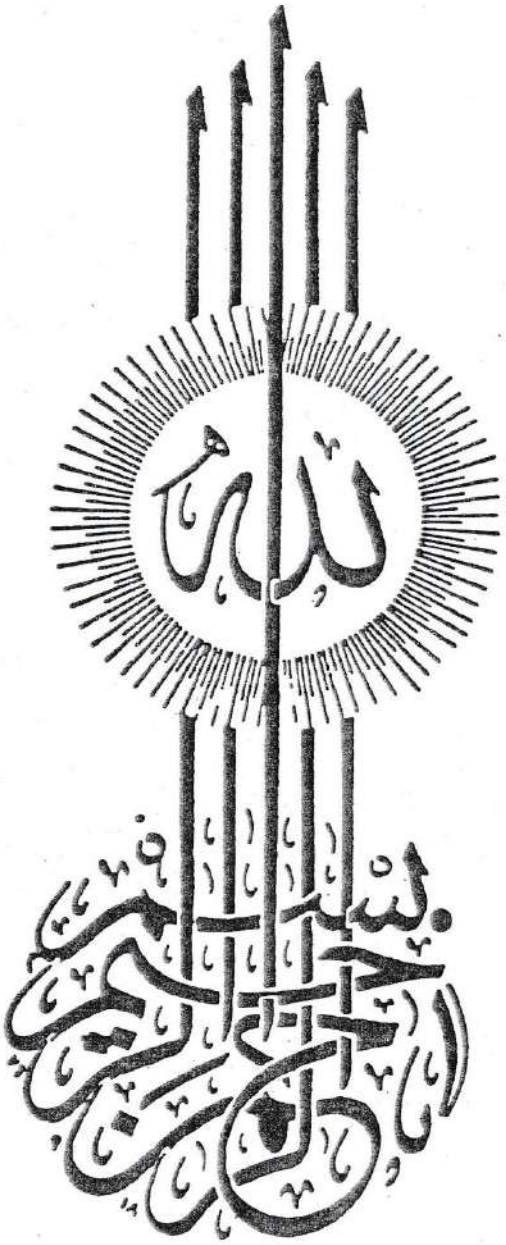
الله
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمـــــــة

بسم الله الرحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين سيّدنا محّمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فهذا تفسيرٌ مبسط للجزء الثاني عشر من القرآن الكريم ، يكمل به تفسير سورة هود عليه السّلام ويغطّي صدر سورة يوسف عليه السّلام . وقد قمت بعمله على غرار تفسير الأجزاء الأحد عشر السّابقة ، التي طبعتها وزارة الحجّ والأوقاف سابقاً ، وتلبيةً لرغبةٍ كريمةٍ من وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد وعلى رأسها معالي الوزير الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي . تتم مواصلة هذا العمل الجليل .

إنّ هذا الجزء الثاني عشر هو ميدان التّفسير للمتسابقين في الحقل الأوّل ، الذي يشمل حفظ القرآن الكريم كاملاً مع التّفسير ، من بين الحقول الخمسة للمسابقة ، في المسابقة السنوية الخامسة عشرة المنعقدة في أثناء الفترة من ٨/١ إلى ١٤١٣/٨/١٢هـ . الموافق ١/٢٣ إلى ١٩٩٣/٢/٣م ، وكأنّ هذا التّفسير تتويجٌ للأعمال الّتي تمّت في مجال التّفسير ، في أثناء المسابقة الخامسة عشرة ، علماً بانّ ميدان المتسابقين في المسابقة السادسة عشرة عام ١٤١٤هـ ، هو الجزء الثّالث عشر من القرآن الكريم .

وأنتهز هذه الفرصة المباركة كي أوجّه خالص شكري وتقديري لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد وعلى رأسها معالي الوزير ، على الثّقة الّتي منحتني إيّاها ، بأن أقوم بعمل هذا التّفسير ، الذي حرصت فيه ، كما حرصت في سابقيه ، على أمورٍ أهمّها ثلاثة :

١ – أن أبيّن مظاهر التّرابط بين الآيات الكريمات والموضوعات .

٢ – أن أشير إلى الدّروس التي يمكن أن تستفاد .

٣ – أن أنسب الأقوال كلّها إلى مصادرها .

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، إنّه سميع مجيب .

﴿ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا . ربّنا ولا تَحْمِلْ علينا إصراً كما حملته على الّذين من قبلنا . ربّنا ولا تحمِّلنا ما لا طاقة لنا به . واعف عنّا واغفر لنا وارحمنا . أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ .

﴿سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون . وسلامٌ على المرسلين . والحمد لله رب العالمين ﴾ .

وصلّى الله وسلّم على سيدّنا محّمد وعلى آله وصحبه أجمعين . والحمد لله ربّ العالمين .

كتبه الفقير الى عفو ربّه
د . حسن محمّد باجودة
أستاذ الدراسات القرآنيّة البيانيّة
وعميد كلّيّة اللّغة العربيّة
جامعة امّ القرى بمكّة المكرمة

أوَّلاً

تمام سورة هـــود

۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا
وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ
عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ
إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا
إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ
أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ
مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾
وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ
لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ
مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ
وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ
مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ
وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾
فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ
﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ
مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ
عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ
مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ
مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ
مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ
عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ
رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾

أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ
ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ
فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ
هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ
وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾
أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ
﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا
مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ
ٱلرَّأْىِ ۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ
﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً
مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ۚ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾

وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ
أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ
قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ
أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ
أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا
لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ
جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ
إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ ۚ
نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۖ
هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ
قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾
وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ
فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾

وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟
مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ
مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا
مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ
وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟
فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ
تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ
فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾
قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ
ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ
مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ
أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ
بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ
ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ
مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا
تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ
ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ
وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ
مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ
مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ
أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِى ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾
وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ
عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا
مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ
بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَىٰكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ
وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى
جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا
مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ
﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ
رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ
﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ
مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ
رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟
فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا
بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ
يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ
﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن
نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي
مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي
غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً
فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ
عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ
ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ
أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا
وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ
﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا
لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟
سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا
رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ
قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ
فَضَحِكَتْ ۖ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾

قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا
لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ
وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ
عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾
إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ
قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا
جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا
يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِى ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ
﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ
﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟
يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ
مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا
مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۚ
وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ
شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ
وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ
وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ
أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟
ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾
بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم
بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن
نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ
إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن
كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ
أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ
مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ
قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم
بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى
رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ
وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ
عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ
ٱللَّهِ ۖ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ
مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ
سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ
كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ
أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾
كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾

يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ
ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ
ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ
مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾
وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ
أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ
ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا
نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ
إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى
ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ
﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ
﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ
إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ
ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ
﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا
كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ
فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ
رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨
إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١١٩ وَكُلًّا نَّقُصُّ
عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ
ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝١٢٠ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ۝١٢١ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ
۝١٢٢ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ
فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٢٣

بين يدي التّفسير

((الله تعالى الرّزّاق العليم الخالق ، وجنس الإنسان يئوسٌ في الضرّاء ، فخورٌ في السرّاء إلّا المؤمنين))
الآيات (٦ ـ ١١)

يقرّر السّياق أنّه ما من دابّةٍ تدبّ في الأرض وتدرِج عليها إلّا على الله تعالى رزقها ويعلم جلّ وعلا مستقرّها ومنتهى سيرها في هذه الأرض ، وقبل ذلك مستقرّها نطفةً وخلقاً سويّاً في الأرحام ، كما يعلم جلّ وعلا مستودعها ليلاً أو نهاراً حال حياتها ، وحيث تموت وتدفن بعد مماتها ، وقبل ذلك مستودعها نطفةً وذرّيّةً في الأصلاب . وما يدبّ في الأرض يشمل ما يعيش في الماء ويطير في جوّ السّماء . إنّ كلّ ذلك مدوّنٌ في كتابٍ مبينٍ عن كلّ ذلك هو اللّوح المحفوظ . ويقرّر السّياق أنّ الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له هو الّذي خلق السّماوات والأرض الأكبر من خلق النّاس في ستّة أيّام الله تعالى أعلم بحقيقتها ، وكان عرشه جلّ وعلا قبل ذلك على الماء ، وسخّر لنا ما في السّماوات وما في الأرض ليبلونا الله تعالى أيّنا أحسن عملاً فنشكر أم نكفر ، أنؤمن بأركان الإسلام والإيمان وبالإحسان أم نكفر وذلك على غرار كفّار مكّة الّذين حينما يقال لهم إنّكم مبعوثون من بعد الموت يقولون للرّسول ﷺ ما هذا الّذي تتلوه علينا إلّا سحرٌ مبين . والعجيب في حال كفّار مكّة الّذين يُنْذَرون بالعذاب أنّهم وقد تأخّر عنهم العذاب إلى أجلٍ محدود يستعجلونه ويستنكرون منعه عنهم ! ألا يوم يأتيهم العذاب ليس مصروفاً عنهم وسيحلّ بهم العذاب الّذي كانوا يستهزئون به . فإذا أذاق الله تعالى جنس الإنسان منه رحمةً من صحّةٍ ومالٍ وجاهٍ ثمّ نزعها منه فإنّ ذلك الإنسان يئوسٌ من رحمة الله تعالى كفورٌ للنّعم السّابقة . فإذا أذاق الله تعالى ذلك الإنسان نعماء بعد ضرّاء مسّته قال إنّ السّيّئات هي الّتي ذهبت عنّي ولا يقول : إنّ الله تعالى هو الّذي أذهب السّيّئات عنّي ، وكان في نفسه فرِحاً فرح أشَرٍ وبطر ، وكان فخوراً على غيره عالياً مستكبراً يكاد يخرق الأرض إذا مشى عليها لفرحه ، ويكاد يبلغ الجبال طولاً لفخره .

ويستثني السّياق من هذه الصّفات الذّميمة الّذين صبروا وعملوا الصّالحات . إنّ لأولئك مغفرةً من الله تعالى لذنوبهم وأجراً كبيراً وثواباً عظيماً لأعمالهم الصّالحة .

((الرّسول نذيرٌ بكلّ القرآن المتحدَّى بعشر سورٍ مثله ووجوب الإخلاص في العمل))
الآيات (١٢ ـ ١٦)

ينهي السّياق المصطفى ﷺ في أرقّ أسلوبٍ وألطفه أن يترك تبليغ بعض ما أوحى الله

تعالى إليه من قرآنٍ كريمٍ أو أن يضيق بذلك التّبليغ صدره ﷺ لقول المشركين هلّا أُنزل عليه كنزٌ من السّماء آيةً حسّيّةً نلمسها دليلاً على أنّك يا محمّد رسول ربّ العالمين ، أو هلّا جاء مع محمّد ﷺ مَلَكٌ يشهد أنّك رسول ربّ العالمين . إنّما أنت يا محمّد نذير . وإنّ الله سبحانه وتعالى على كلّ شيءٍ وكيل فاستمرّ في تبليغ الرّسالة وتأدية الأمانة . بل أيقول أولئك المشركون إنّ محمّداً ﷺ قد افترى القرآن الكريم واختلقه . قل فأتوا بعشر سورٍ مثل القرآن الكريم مفترياتٍ من ذوات أنفسكم وادعوا من استطعتم دعوته من دون الله تعالى لمساعدتكم إن كنتم صادقين في زعمكم أنّ القرآن الكريم مفترى . فإن لم يستجب المشركون لكم أيّها المسلمون فاعلموا أنّما أُنزِل القرآن الكريم بعلم الله تعالى وأنّه لا إله إلّا هو فهل أنتم أيّها المشركون مسلمون . والمعنى : أسلموا لله ربّ العالمين . ويبيّن السّياق أنّ الأعمال الصّالحة بمقياس الإسلام يجب أن يريد بها المسلم وجه الله تعالى فإنّ من كان يريد بأعماله الحياة الدّنيا ومتعها الرّخيصة فإنّ الله سبحانه وتعالى سوف يوفّي له جزاء أعماله في هذه الحياة الدّنيا ولن يُظلم شيئاً . إنّ هذا الفريق من النّاس ليس لهم في الآخرة إلّا النّار ، ويذهب سدًى ما صنعوا فيها وأتقنوه وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً ، ﴿ وباطلٌ ما كانوا يعملون ﴾ .

« عذاب الكافرين الصّادّين عن سبيل الله تعالى
وثواب المؤمنين المخبتين إلى ربّهم »
الآيات (١٧ ـ ٢٤)

يسأل السّياق في إنكار : أفمن كان على حجّةٍ بيّنةٍ من ربّه جلّ وعلا وهو محمّد بن عبد الله ﷺ ويتبعه شاهدٌ منه جلّ وعلا وهو القرآن الكريم ومن قبله كتاب موسى ، وهو التّوراة ، إماماً ورحمةً ، كمن هو في ضلالٍ مبين ؟ والجواب معروفٌ بطبيعة الحال . لا يستويان . إنّ أتباع ذلك الكتاب الإمام والرّحمة ، والمعروف أنّ الإنجيل الّذي أنزله الله تعالى على عيسى عليه السّلام متمّم للتّوراة وبذلك يدخل أتباع الإنجيل في الحديث ، إنّ أتباع ذلك الكتاب يؤمنون بالقرآن الكريم لأنّ كتب الله تعالى يصدّق بعضها بعضاً . أمّا من يكفر بالقرآن الكريم من الأمم المتحزّبة على مللها فالنّار موعدهم . فلا تك أيّها الرّسول الكريم في شكٍّ من القرآن الكريم . إنّه الحقّ من ربّك جلّ وعلا ولكنّ أكثر النّاس لا يؤمنون . ويقرّر السّياق أنّه لا أحد أظلم ممّن افترى على الله كذباً بنسبة الولد والصّاحبة والشّريك إليه جلّ وعلا . إنّ أولئك سوف يُعْرَضون يوم القيامة على ربّهم جلّ وعلا ويقول الأشهاد من الملائكة

والنّبيّين هؤلاء الّذين كذبوا على الله تعالى فأشركوا معه جلّ وعلا في العبادة سواه ألا لعنة الله تعالى على الظّالمين الّذين صرفوا العبادة عمّن يستحقّها إلى من لا يستحقّها ، والّذين يصدّون عن سبيل الله تعالى ، ويبغون السّبيل معوجّة ، ﴿ وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ إنّ أولئك لم يكونوا معجزين الله تعالى في الأرض وما كان لهم من دون الله تعالى من أولياء ونصراء وسيضاعف لهم العذاب لأنّهم في الدّنيا ما كانوا يستطيعون مجرّد سماع دعوة الحقّ سماع قبول وما كانوا يبصرون الحقّ بسبب انصراف نفوسهم الفطريّ عن الحقّ . إنّ أولئك هم الّذين خسروا أنفسهم بدخول النّار وغاب عنهم ما كانوا يفترونه من الشّركاء لله تعالى في العبادة . حقّاً إنّ أولئك في الآخرة هم الأخسرون . وفي مقابل هؤلاء أصحاب النّار هنالك الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات وخشعت قلوبهم وخضعت جوارحهم لله تعالى . إنّ أولئك هم أصحاب الجنّة وهم فيها خالدون . ويقرّر السّياق أنّه لا يستوي مثل الفريق الكافر الأعمى الّذي لا يبصر نور الهداية ، الأصمّ الّذي لا يسمع صوت الحقّ ، ومثل الفريق المؤمن البصير السّميع . إنّ على النّاس جميعاً أن يتّعظوا بآي الكتاب العزيز وأن يكونوا مسلمين لله تعالى حقّاً وصدقاً .

« نوحٌ عليه السّلام يدعو قومه إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له »
الآيات (٢٥ ـ ٣٥)

يقرّر السّياق أن الله سبحانه وتعالى أرسل نوحاً عليه السّلام ، أوّل الرّسل والأب الثّاني للبشريّة ، إلى قومه قائلاً إنّه لهم نذيرٌ مبين ، آمراً لهم بألّا يعبدوا إلّا الله تعالى فإنّه يخاف عليهم إن لم يؤمنوا عذاب يوم القيامة الأليم . وعلى عادة الكبراء المترفين في كلّ أمّة قال الملأ الّذين كفروا من قومه عليه السّلام ما نراك يا نوح إلّا بشراً مثلنا ولَسْت مَلَكاً فكيف تكون رسولاً من بيننا ! وما نراك اتّبعك إلّا سِفْلَتُنا الّذين لا رأي لهم لذا هم يلبّون دعوة كلّ ناعق لأوّل وهلة وما نرى لكم علينا من فضلٍ فكيف تسبقوننا إلى نبوّةٍ أو إيمان ، بل نظنّكم كاذبين . وفي ألطف أسلوبٍ ينادي نوحٌ عليه السّلام قومه ويقول لهم : أخبروني إن كنت على بيّنةٍ من ربّي جلّ وعلا وآتاني رحمةً وهدايةً من عنده جلّ وعلا ﴿ فعمّيت عليكم أنُلزِمكموها وأنتم لها كارهون ﴾ ويا قوم لا أسألكم على دعائي لكم إلى الخير مالاً ، وما أجري إلا على الله تعالى وحده لا شريك له ، وما أنا بطارد الّذين آمنوا من الضّعفاء والفقراء حسب طلبكم إنّهم ملاقو ربّهم جلّ وعلا فمجازيهم على نيّاتهم وأعمالهم ولكنّي أراكم قوماً تجهلون

حقّ الله تعالى بتوحيده جلّ وعلا لذا أنتم ترتكبون هذه الحماقات وتأتون تلك السّفاهات والسّخافات . ويا قوم من يمنعني من الله تعالى وعذابه إن طردتهم أفلا تذكّرون وتتّعظون . ولا أقول لكم عندي خزائن الله تعالى الّتي ينفق منها ولا تنفد ، ولا أعلم الغيب إلّا ما علّمني الله تعالى منه ، ولا أقول إنّي مَلَكٌ ولكنّي بشرٌ أكرمني الله تعالى بنعمة الرّسالة ، ولا أقول للّذين تحتقرهم أعينكم لن يؤتيهم الله تعالى خيراً ، الله أعلم بما في أنفسهم فمجازيهم بناءً على نيّاتهم . إنّي لو أتيت في حقّهم محظوراً إنّي إذاً لمن الظّالمين . وينادي الملأ الّذين كفروا نوحاً عليه السّلام في أسلوبٍ فظٍّ باسمه : « يا نوح » ويعبّرون له في أوضح عبارة أنّه جادلهم فأكثر جدالهم فليأتهم بما يعدهم من عذاب الله تعالى إن كان من الصّادقين في زعمه أنّه رسول ربّ العالمين . والمعروف أنّ نوحاً عليه السّلام لبث يدعو قومه ألف سنةٍ إلّا خمسين عاماً . ويجيب نوحٌ عليه السّلام قومه المستهزئين بالعذاب المستعجلين له بأنّ الّذي يأتيهم بالعذاب هو الله تعالى وحده لا شريك له إن شاء أن يعذّبهم وبأنّهم لا يعجزون الله تعالى ولا يفوتونه . وإنّ نوحاً عليه السّلام الّذي يريد أن ينصح لهم لن ينفعهم نصحه عليه السّلام لهم إن كان الله تعالى يريد أن يغويهم . إنّه جلّ وعلا ربّهم وإليه يُرْجعون . ولمّا كان القرآن الكريم المتحدّي بعشر سورٍ من مثله في هذه السّورة الكريمة والموحى به من ربّ العالمين هو الّذي اشتمل على هذه الأنباء من الغيب المتعلّقة بنوحٍ عليه السّلام بقصد إنذار الكافرين من ناحيةٍ وتسلية المصطفى ﷺ من ناحيةٍ أخرى فإنّ آخر آيات القسم تتحدّث في القرآن الكريم وتسأل : بل أيقول كفّار مكّة إنّ محمّداً ﷺ قد افترى القرآن الكريم ؟ وتأمر الآية الكريمة المصطفى ﷺ بأن يقول لهم : إنِ افتريتُ القرآن الكريم فعليّ ذنبي وأنا بريءٌ من ذنبكم بزعمكم أنّ القرآن الكريم ليس كلام ربّ العالمين .

« نجاة نوحٍ عليه السّلام والمؤمنين من الطّوفان وغرق الكافرين »
الآيات (٣٦ ـ ٤٩)

بعد أن لبث نوحٌ عليه السّلام يدعو قومه إلى عبادة الله تعالى ألف سنةٍ إلّا خمسين عاماً أوحى الله تعالى إليه أنّه لن يؤمن من قومه إلّا من قد آمن فلا يبتئس عليه السّلام بما كانوا يعملون . وأمره الله تعالى أن يصنع السّفينة برعاية الله تعالى وإلهامه ، ونهاه جلّ وعلا أن يخاطبه في الّذين ظلموا . إنّهم مُغْرقون بالطّوفان . ويصنع نوح عليه السّلام السّفينة ، وكلّما مرّ عليه ملأٌ من قومه سخروا منه وهزئوا به وقالوا : بعد أن كان نبيّاً صار نجّاراً يعمل سفينةً في البرّ ! قال لهم نوحٌ عليه السّلام إن تسخروا منّا فإنّا نسخر منكم حينما تغرقون كما تسخرون منّا الآن ، فسوف تعلمون من يأتيه في الدّنيا عذابٌ يخزيه بالغرق ، ويحلّ عليه عذابٌ مقيمٌ

في نار جهنّم في الآخرة . حتّى إذا جاء أمر الله تعالى بالطّوفان وفار التّنور ، وهو الّذي يُخْبَز فيه ، بالماء دليلاً على بداية الطّوفان قلنا لنوحٍ عليه السّلام احمل في السّفينة من كلّ نوعٍ زوجين اثنين واحمل أهلك إلّا من سبق عليه القول بالغرق من أهلك واحمل من آمن : ﴿ وما آمن معه إلّا قليل ﴾ وقال نوحٌ عليه السّلام اركبوا في الفلك باسم الله تعالى سيرها ورسوّها : ﴿ إنّ ربّي لغفورٌ رحيم ﴾ وتجرى بهم الفلك بإرادة الله تعالى في موجٍ كالجبال ضخامةً وعلوّاً ، ونادى نوحٌ ابنه الكافر وكان في مَعْزِلٍ عن السّفينة : ﴿ يا بُنَيّ اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ﴾ خارج السّفينة المغرقين بالطّوفان . قال الابن الكافر المصرّ على اعتزاله السّفينة : ﴿ سآوي إلى جبلٍ يعصمني من الماء ﴾ قال نوحٌ عليه السّلام لا عاصم اليوم من أمر الله تعالى بالغرق إلّا من رحم الله تعالى فهداه فآمن فركب السّفينة : ﴿ وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ﴾ وقيل للأرض ابلعي الماء ، ويا سماء كفّي عن إنزال المطر الصّيّب ، وغيض الماء وذهبت به الأرض ، وقُضِي الأمر بغرق القوم الكافرين ، واستوت السّفينة على جبل الجوديّ ، وقيل بعداً للقوم الظّالمين . ونادى نوحٌ عليه السّلام ربّه فقال يا ربّ إنّ ابني من أهلي الّذين وعدتني بإنقاذهم من الغرق وإنّ وعدك الحقّ وأنت أحكم الحاكمين وأعدلهم . قال ربّ العزّة لعبده نوحٍ عليه السّلام يا نوح إنّ ابنك ليس من أهلك لأنّه غير مؤمن وإنّ عمل ابنك عملٌ غير صالحٍ فلا تسألن يا نوح ما ليس لك به علمٌ إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين الّذين يسألون ما ليس لهم به علم . ويستعيذ نوحٌ عليه السّلام بالله تعالى أن يسأله جلّ وعلا ما ليس له به علمٌ ويسأله المغفرة والرّحمة وإلّا كان من الخاسرين . ويأمر الله تعالى نوحاً عليه السّلام أن يهبط من السّفينة بسلامٍ منه تعالى وبركاتٍ عليه وعلى أممٍ ممّن معه من المؤمنين . ويقرّر السّياق أنّ هنالك أمماً سيمتّعها الله تعالى ثمّ يمسّها منه جلّ وعلا عذابٌ أليم . وتقرّر آخر آيات القسم أنّ تلك القصص من أنباء الغيب وأخباره يوحيها الله تعالى إلى محمّد بن عبد الله ﷺ ما كان عليه الصّلاة والسّلام يعلمها هو ولا قومه فعليه بالصّبر وأن يعلم أنّ العاقبة للمتّقين ، فالعاقبة له ﷺ وذلك على غرار كون العاقبة لنوحٍ عليه السّلام .

« هودٌ عليه السّلام يدعو عاداً إلى عبادة الله تعالى وقد كفرت ربّها فبعداً لعاد »
الآيات (٥٠ ـ ٦٠)

كما أرسل الله تعالى نوحاً عليه السّلام إلى قومه أرسل هوداً عليه السّلام ، الّذي سمّيت السّورة باسمه لمجيء اسمه عليه السّلام فيها بأكثر من غيرها من سور القرآن الكريم ،

أرسل هوداً عليه السّلام إلى قومه « عاد » ودعاهم إلى توحيد الله تعالى ، ونهاهم عن الشّرك في ألطف أسلوب ، شأنه في ذلك شأن سائر النّبيّين . وهو عليه السّلام لا يسألهم أجراً مع أنّه عليه السّلام يقوم بأجلّ عمل فإنّ أجره على الله تعالى وحده لا شريك له ، فعليهم أن يستعملوا عقولهم استعمالاً صحيحاً ، وأن يستغفروا ربّهم جلّ وعلا ويتوبوا إليه توبةً نصوحاً كي يرسل جلّ وعلا السّماء عليهم مدراراً ويزيدهم قوّةً إلى قوّتهم ، وعليهم ألّا يتولّوا مجرمين ويعرضوا مذنبين . وفي أسلوبٍ فظٍّ تنادي عادٌ رسول الله تعالى إليها : « يا هود » وتنفي أن يكون عليه السّلام قد جاءهم ببيّنةٍ من ربّه جلّ وعلا وتصرّ على الشرك وعلى عدم اعتناق عقيدة التّوحيد ويعلنون أنّ بعض آلهتهم المزعومة قد أصابه بجنون لذا هو يهرف بما لا يعرف ! ويعلن هودٌ عليه السّلام على رءوس الأشهاد أنّه يشهد الله تعالى الّذي لا إله إلّا هو ويشهدهم أنّه عليه السّلام بريءٌ ممّا يشركون من دونه جلّ وعلا فعليهم جميعاً أن يكيدوه وعليهم ألّا يمهلوه أكثر ممّا أمهلوه فإنّه هو المتوكّل على الله تعالى ربّه وربّهم . ويبيّن عليه السّلام أنّ الله تعالى آخذٌ بناصية كلّ دابّة ، وأنّه جلّ وعلا على صراطٍ مستقيم . ويقول عليه السّلام لقومه : فإن تتولّوا وتعرضوا فقد أبلغتكم ما أرسلني الله تعالى به ، ويستخلف ربّي جلّ وعلا قوماً غيركم لن يكونوا أمثالكم ، ولا تضرّونه جلّ وعلا شيئاً حينما تشركون وحينما يأخذكم جلّ وعلا أخذ عزيزٍ مقتدر . إنّ ربّي جلّ وعلا على كلّ شيءٍ حفيظٌ ورقيب . ولمّا جاء أمر الله تعالى بإهلاك عادٍ نجّى الله تعالى هوداً والّذين آمنوا معه برحمةٍ منه جلّ وعلا ونجّاهم من عذابٍ غليظٍ يوم القيامة . إنّ عاداً قوم هودٍ عليه السّلام جحدوا بآيات ربّهم جلّ وعلا وعصوا رسله ، لأنّ تكذيب الواحد من الرّسل تكذيبٌ لسائرهم ، واتّبعوا أمر كلّ جبّارٍ عنيد ، ومتكبّرٍ مصرٍّ على كفره ، وأتبعهم الله تعالى في هذه الدّنيا لعنةً وفي الآخرة لعنة : ﴿ ألا إنّ عاداً كفروا ربّهم ألا بُعْداً لعادٍ قوم هود ﴾ .

« صالحٌ عليه السّلام يدعو ثمود إلى عبادة الله تعالى وقد كفرت ربّها فبعداً لثمود »
الآيات (٦١ ـ ٦٨)

وأرسل الله تعالى إلى ثمود أخاهم صالحاً عليه السّلام ، فدعاهم إلى توحيد الله تعالى ، وذكّرهم بخلق الله تعالى لهم من الأرض بخلق أبينا آدم عليه السّلام منها ، وبتمكين الله تعالى لهم من عمارة الأرض فعليهم باستغفار الله تعالى القريب المجيب وبالتّوبة إليه . ويصرّ القوم على الشّرك ويقولون لصالحٍ عليه السّلام إنّه كان فيهم مرجوّاً بأن يكون سيّداً قبل أن يدعوهم إلى

التوحيد وينكرون عليه أن ينهاهم عن عبادة الأصنام الّتي كان يعبدها آباؤهم ، ويصرّحون له بأنّهم في شكٍّ مما يدعوهم إليه من توحيدٍ مثير للرّيبة ! ومع أنّ القوم ينادونه في هذه الطّريقة الفظّة : « يا صالح » فإنّه عليه السّلام يدعوهم في الطّريقة اللّطيفة : « يا قوم » ويذكّرهم بأنّه على بيّنة من ربّه جلّ وعلا ، وقد آتاه الله تعالى النّبوّة والحكمة ، فعليه أن يبلّغ الرّسالة ويؤدّي الأمانة فمن ينصره عليه الصّلاة والسّلام من الله تعالى إن عصاه فلم يبلغ الرّسالة وهل يزيدونه بطلبهم منه ألّا يؤدّي الأمانة غير خسرانٍ وهلاك . وحينما طلب القوم آيةً اصطفاه الله تعالى بالنّاقة الّتي خرجت بإرادة الله تعالى من صخرةٍ أمام أعين القوم فطلب منهم أن يتركوها تأكل في أرض الله تعالى ، ونهاهم أن يمسّوها بسوءٍ فيأخذهم من الله تعالى عذابٌ قريب . وعقر القوم النّاقة فقال لهم صالحٌ عليه السّلام تمتّعوا في داركم ثلاثة أيّامٍ يأتيكم بعدها العذاب غير المكذوب . فلمّا جاء أمر الله تعالى بالعذاب نجّى جلّ وعلا صالحاً عليه السّلام والّذين آمنوا معه برحمةٍ منه تعالى ، ونجّاهم من خزي ذلك اليوم : ﴿ إنّ ربّك هو القويّ العزيز . وأخذ الّذين ظلموا الصّيحةُ فأصبحوا في ديارهم جاثمين . كأن لم يغنوا فيها . ألا إنّ ثمود كفروا ربّهم . ألا بُعْداً لثمود ﴾ .

« الملائكة تبشّر إبراهيم عليه السّلام وزوجه بالولد ، وإبراهيم يجادل في قوم لوطٍ عليه السّلام الّذين حقّ عليهم العذاب » الآيات (٦٩ ـ ٧٦)

يقرّر السّياق أنّ رسل الله تعالى من الملائكة قد جاءت إبراهيم عليه السّلام الشّيخ الهرم بالبشرى بإسحاق عليه السّلام من الزّوج العجوز سارّة عليها السّلام . وسلّم الملائكة على إبراهيم عليه السّلام وردّ التّحيّة بأحسن منها وذهب سريعاً في خفيةٍ وجاء ضيوفه بعجلٍ سمينٍ مشويّ . فلمّا رأى إبراهيم عليه السّلام أيدي ضيوفه لا تصل إلى الطعام ولا تمتدّ إليه ولم يكن يعلم أنّهم من الملائكة أنكرهم وأحسّ منهم خيفةً في نفسه لأنّ الضّيف الّذي لا يأكل يُضْمر سوءاً وينوي شرّاً في العُرْف والعادة ، وهنا قال الملائكة لإبراهيم عليه السّلام : ﴿ لا تخف إنّا أُرْسلنا إلى قوم لوط ﴾ وكما كان إبراهيم عليه السّلام قائماً على خدمة ضيفه كانت زوجه قائمةً على خدمتهم ـ من وراء السّتر فيما يقال ـ وسمعت الحديث الّذي دار بين إبراهيم عليه السّلام والرّسل الكرام من الملائكة عليهم السّلام فضحكت لغفلة قوم لوطٍ عليه السّلام عن العذاب الّذي سيحلّ بهم وتماديهم في غيّهم ، وهنا يبشّرها الملائكة الكرام بإسحاق عليه السّلام ومن وراء إسحاق يعقوب عليهما السّلام . وهنا تتعجّب سارّة من هذه البشارة بالولد

وهي العجوز العقيم من زوجها إبراهيم عليه السّلام الشّيخ الهرم . ويبيّن الملائكة لها أنّه لا سبب لعجبها فهذا أمر الله تعالى بأن تنجب وهي العجوز العقيم من زوجها إبراهيم عليه السّلام الشيخ الهرم ، وهذه رحمة الله تعالى تسع آل بيت النّبوّة ، وهذه بركة الله تعالى الحميد المجيد تشملهم . وبعد ذهاب الرّوع عن إبراهيم ومجيء البشارة بالولد يجادل إبراهيم عليه السّلام الحليم الأوّاه المنيب الملائكة في قوم لوطٍ عليه السّلام خوفاً منه عليه الصّلاة والسّلام أن يشمل العذاب ابن أخيه لوطاً عليه السّلام والمؤمنين من قومه . وتنادي الملائكة إبراهيم عليه السّلام باسمه تأنيساً له وتأمره بأن يعرض عن الجدل غير المفيد فإنّ القوم قد جاءهم أمر ربّك بالعذاب ، ﴿ وإنّهم آتيهم عذابٌ غير مردود ﴾ .

« قوم لوطٍ عليه السّلام يصرّون على إتيان الذّكران فيجعل الله تعالى عالي قراهم سافلها »
الآيات (٧٧ ـ ٨٣)

لمّا جاءت الملائكة لوطاً عليه السّلام حزن بسببهم وضاقت نفسه غمّاً بمجيئهم وقال هذا يومٌ شديدٌ شرّه عظيمٌ بلاؤه . وجاء لوطاً عليه السّلام قومه يسرعون نحوه حينما علموا بمجيء الشّبّان المرد الجميلي الصّور ، ومن قبل كانوا يعملون السّيّئات بإتيان الذّكران . ويبادر لوطٌ عليه السّلام إلى عرض بناته عليه الصّلاة والسّلام الطّاهرات كي يتزوّجوهنّ ويأمرهم بأن يتّقوا الله تعالى وينهاهم أن يخزوه في ضيفه عليه الصّلاة والسّلام . ويفتّش عليه الصّلاة والسّلام بينهم عن رجلٍ واحد عاقل ينهاهم عن إتيان المنكر فلا يجد ، ويقولون بكلّ وقاحةٍ إنّه عليه الصّلاة والسّلام قد علم بأنّهم ليس لهم في بناته عليه الصّلاة والسّلام من حقّ فليسوا بأزواجهنّ ، وبأنّهم ليس لهم فيهنّ رغبة فإنّه عليه الصّلاة والسّلام يعلم ما يريدون من إتيان الذّكران ! ويتمنّى عليه الصّلاة والسّلام لو أنّ له بهم قوّةً أو أنّه يأوي إلى ركنٍ شديدٍ من قومه وجانبٍ قويٍّ من قبيلته كي يمنعهم قسراً عمّا يريدون . وهنا ينادي الرّسل من الملائكة لوطاً عليه السّلام باسمه تطييباً لخاطره ويبيّنون له أنّهم رسل ربّه جلّ وعلا وأنّهم لن يصلوا إليه عليه الصّلاة والسّلام بسوءٍ وهم جمعٌ من الملائكة . وتأمره الملائكة أن يسير ليلاً بأهله وتنهاه أن يلتفت هو ومن معه وراءهم حينما يسمعون عويل المعذّبين إلّا امرأته عليه الصّلاة والسّلام الّتي سيصيبها من العذاب ما أصابهم : ﴿ إنّ موعدهم الصّبح . أليس الصّبح بقريب ﴾ وجعل الله تعالى عالي القرى سافلها وأمطر الله تعالى عليها حجارةً متتابعةً من طينٍ مكتوباً عليها أسماء من يُرْمَى بها بأمر الله تعالى . وليست تلك الحجارة ببعيدٍ من الظّالمين ككفّار مكّة .

« شُعَيْبٌ عليه السّلام يدعو مدين إلى عبادة ربّها وقد كفرت ربّها فَبُعْداً لها كما بَعِدَتْ ثمود »
الآيات (٨٤ ـ ٩٥)

وأرسل الله تعالى إلى مدين أخاهم شعيباً ودعاهم إلى عبادة الله تعالى ، ونهاهم أن ينقصوا المكيال والميزان لأنه عليه السّلام يراهم بخيرٍ من الله تعالى ولأنّه يخاف عليهم عذاب يوم القيامة المحيط ، وأمرهم أن يوفوا المكيال والميزان بالعدل ، ونهاهم أن يبخسوا النّاس أشياءهم وأن يعثوا في الأرض مفسدين . ويبيّن لهم عليه السّلام أنّ ما أبقاه الله تعالى لهم بعد أن يعطوا النّاس حقوقهم خيرٌ لهم إن كانوا مؤمنين ، وأنّه عليه السّلام لا يملك سوى البلاغ المبين . ويستنكر قومه أن تكون صلاته عليه السّلام تأمره أن يَتْرُكوا ما يعبد آباؤهم من أصنام أو أن يُتْرَكوا كي يفعلوا في أموالهم ما يشاءون . إنّه وهو الحليم الرّشيد يدعوهم إلى التّوحيد وترك الشّرك فكيف لو لم يكن حليماً رشيداً ! وإنّ لسان حال القوم في استهزائهم يصفونه عليه السّلام بعكس الحلم والرّشد . وينادي عليه السّلام قومه في لطفٍ ويسألهم : أخبروني إن كنت على بيّنةٍ من ربّي جلّ وعلا ورزقني منه تعالى رزقاً حسناً فهل أدعوكم إلىّ ما هداني الله تعالى إليه وكلّفني به أم أخون الأمانة وأخالفكم إلى ما أنهاكم عنه من تطفيف الكيل والوزن . إنّي ما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ، وما أريد إلّا الإصلاح ما استطعت : ﴿ وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب ﴾ ويا قوم لا يحملنّكم عداوتي وبغضي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوحٍ وهود وصالح ولوطٍ عليهم السّلام : ﴿ وما قوم لوطٍ منكم ببعيد ﴾ ﴿ واستغفروا ربّكم ثمّ توبوا إليه . إنّ ربّي رحيمٌ ودود ﴾ ومع أنّ شعيباً عليه السّلام خطيب الأنبياء لفصاحته فإنّ الملأ الّذين كفروا من قومه يقولون في أسلوبهم الفظّ : ﴿ يا شعيب ما نفقه كثيراً ممّا تقول وإنّا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز ﴾ ويقول شعيبٌ عليه السّلام لقومه في إنكار : ﴿ أرهطي أعزّ عليكم من الله واتّخذتموه وراءكم ظهريّاً . إنّ ربّي بما تعملون محيط ﴾ ويستمرّ عليه السّلام مهدّداً قومه : ﴿ ويا قوم اعملوا على مكانتكم إنّي عاملٌ سوف تعلمون من يأتيه عذابٌ يخزيه ومن هو كاذب . وارتقبوا إنّي معكم رقيب ﴾ وجاء أمر الله تعالى بعذاب القوم الكافرين ونجّى الله تعالى شعيباً والّذين آمنوا معه برحمةٍ منه تعالى ، وأخذت الّذين ظلموا الصّيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين على الرّكب أمواتاً كأن لم يعيشوا فيها من قبل وقيل ألا بعداً لمدين من رحمة الله تعالى كما بعدت ثمود .

« موسى عليه السّلام يدعو فرعون وملأه إلى عبادة الله تعالى فيكفرون فيلعنهم الله تعالى في الأولى والآخرة »
الآيات (٩٦ ـ ٩٩)

آخر الرّسل الّذين تحدّثت عنهم سورة هود موسى عليه السّلام الّذي أرسله الله تعالى بآياته التّسع البيّنات وبالسّلطان المبين والحجّة البالغة إلى فرعون وملئه . ولقد اتّبع قوم فرعون أمر فرعون غير الرّشيد ، لذا هو يقدم قومه في الآخرة ويوردهم النّار ﴿ وبئس الوِرْد المورود ﴾ وقد أتبعهم الله تعالى في هذه الدّنيا لعنةً ويوم القيامة لعنةً وبئس الرّفد المرفود والعون المعان واللّعنة المزيدة فيها أخرى منها .

« عذاب الأشقياء في الأولى والآخرة أليم ، ونعيم الأتقياء في الأولى والآخرة مقيم »
الآيات (١٠٠ ـ ١٠٨)

يبيّن السّياق أنّ ذلك القَصَص من أنباء القرى يقصّه الله تعالى على حبيبه محمّد بن عبد الله ﷺ في القرآن الكريم ، ومن هذه القرى ما هو قائمٌ أثره كمدائن صالح ومنها ما اندثر أثره بعد اندثار أهله وكأنّه الزّرع المحصود بالمناجل حصداً . ويقرّر السّياق أنّ الله سبحانه وتعالى ما ظلمهم ولكن ظلموا أنفسهم بكفرهم فما أغنت عنهم آلهتهم الّتي يدعونها من دون الله تعالى لمّا جاء أمر ربّك بهلاكهم وعذابهم وما زادوهم غير تتبيب وتدميرٍ وإهلاك . وكما أخذ الله تعالى المكذّبين السّابقين بالهلاك يأخذ اللّاحقين من أهل القرى الظّالمة كأهل مكّة : ﴿ إنّ أخذه أليمٌ شديد ﴾ إنّ في ذلك القَصَص لعبرةً لمن خاف عذاب الآخرة ، ذلك يومٌ مجموعٌ له النّاس أجمعون ، وذلك يومٌ تشهده الخلائق جميعها . وإنّ الله تعالى ما يؤخّر يوم القيامة إلّا لموعدٍ محدّد ، فإذا أتى ذلك اليوم لا تتكلّم نفسٌ من النّفوس إلّا بإذنه جلّ وعلا ، ﴿ فمنهم شقيٌّ وسعيد . فأمّا الّذين شَقُوا ففي النّار لهم فيها زفيرٌ وشهيق . خالدين فيها ما دامت السّماوات والأرض إلّا ما شاء ربّك . إنّ ربّك فعّالٌ لما يريد . وأمّا الّذين سُعِدوا ففي الجنّة خالدين فيها ما دامت السّماوات والأرض إلّا ما شاء ربّك عطاءً غير مجذوذ ﴾ وإنّ مجيء جملة : « شَقوا » في صيغة المبني للمعلوم دليلٌ على مسئوليتهم المباشرة عن مصيرهم السّيّء . وإنّ مجيء جملة : « سُعِدوا » في صيغة المبني للمجهول تنبيهٌ إلى أنّ جهاد السّعداء في الله تعالى قد تُوِّج بهداية الله تعالى لهم وزيادتهم هدًى وتقوى إلى هداهم وتقواهم وإلى تفضّل الله تعالى عليهم بقبول أعمالهم الصّالحة .

« أمرٌ للمصطفى ﷺ والمؤمنين بالاستقامة وإقام الصّلاة والصّبر ، ونهيٌ عن الرّكون إلى الظّالمين الّذين سيعذّبون »
الآيات (١٠٩ ـ ١١٥)

ينهي السّياق المصطفى ﷺ أن يكون في شكٍّ ممّا يعبد المشركون بأنّه باطل . إنّهم ما يعبدون إلّا كما يعبد آباؤهم المشركون من قبل . وإنّ الله سبحانه وتعالى سيوفّيهم نصيبهم من الجزاء غير منقوص . ومن البيّن قصد تسلية المصطفى ﷺ الّتي تتأكّد بالحديث عن موسى عليه السّلام كبير أنبياء بني إسرائيل الّذي آتاه الله تعالى التّوراة كما آتى محمّداً ﷺ القرآن الكريم ، والّذي عانى من قومه كما عانى محمّد عليه الصّلاة والسّلام من قومه فكذّب أولئك بالتّوراة وكذّب هؤلاء بالقرآن ، وشكّ أولئك في التّورة أنها من عند الله تعالى وشكّ هؤلاء في القرآن الكريم . ولولا كلمةٌ سبقت من ربّك أيّها الرّسول الكريم بتأخير العذاب إلى يوم القيامة لَقُضِي بينهم في الحياة الأولى ، وإنّهم جميعاً سيوفّيهم ربّك يوم القيامة جزاء أعمالهم ، إنّه جلّ وعلا بما يعملون خبير . ويأمر السّياق المصطفى ﷺ ومن تاب معه فآمن بعد كفر أو تاب بعد ذنب بالاستقامة وينهي عن الطغيان وعن الرّكون إلى الظّالمين فإنّ مصير الظّالمين والمدهنين النّار والخِذلان . كما يؤمر عليه الصّلاة والسّلام بإقام الصّلاة طرفي النّهر ، الطّرف الأول صلاة الفجر والطّرف الآخر صلاة الظّهر وصلاة العصر ، وزلَفاً من اللّيل وساعاتٍ منه ، والمراد صلاة المغرب وصلاة العشاء . وإنّما رجّحنا هذا التّفسير لأنّ الثّابت من أحاديث النّزول أنّ الآية الكريمة مدنيّةٌ نزلت بعد هجرة المصطفى ﷺ إلى المدينة المنوّرة رغم كون سورة هود مكّيّة نزلت قبل الهجرة . وتقرّر الآية الكريمة أنّ الحسنات يذهبن السّيّئات وأنّ في ذلك ذكرى للذّاكرين وعظةً للمتّعظين . وتتوّج الأوامر بالصّبر عماد العبادات كلّها حتّى الوصول إلى مرتبة الإحسان الّتي يثيب الله تعالى عليها : ﴿ واصبر فإنّ الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ .

« وجوب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ، وكلٌّ ميسّرٌ لما خُلِق له مِنْ عذابٍ أو رحمة ، وتثبيتٌ لفؤاده ﷺ ، والقرآن موعظةٌ وذكرى »
الآيات (١١٦ ـ ١٢٣)

يبدأ السّياق بحثّ السّابقين على الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر فيقول : هلّا كان من الأمم من قبلكم أيّها المخاطبون أو لو بقيّةٍ من الفهم والعقل وأثارةٍ من الفكر واللّبّ ينهون أقوامهم عن الفساد في الأرض لكن كان ثمّة القليل من أولئك الّذين أنجينا منهم كان نهيهم عن

الفساد في الأرض سبب إنجائنا لهم في حين اتّبع الظّالمون ما أُتْرِفوا فيه وانساقوا بسبب التّرف وراء الشّهوات والمتع الرّخيصة وكانوا مجرمين . ويقرّر السّياق أنّ الله سبحانه وتعالى ما كان ليهلك القرى بظُلْمٍ وأهلها مصلحون ولكنّهم كانوا مفسدين . ولو شاء الله تعالى لجعل النّاس أمّةً واحدةً أتباع دينٍ واحدٍ ورسولٍ واحدٍ ولكن شاء الله تعالى أن يكون ثمّة أكثر من أمّة وأن يظلّوا مختلفين إلّا من شاء ربّك جلّ وعلا فهداهم إلى دين الإسلام . ولذلك خلق الله تعالى النّاس ، وكلٌّ ميسّرٌ لما خُلِق له ، ومنهم الكافر المخالف المعاند ، ومنهم المؤمن الموافق المرحوم . وتمّت كلمة ربّك أيّها الرّسول الكريم لأملأنّ جهنّم من الجنّة والنّاس أجمعين . ويقرّر السّياق الحكمة من قصّ أنباء الرّسل في القرآن الكريم وهي تثبيت فؤاد المصطفى ﷺ الّذي جاءه في هذه السّورة الحقّ وموعظةٌ وذكرى للمؤمنين . ويؤمر عليه الصّلاة والسّلام أن يهدّد الكافرين بالقول : اعملوا على طريقتكم إنّا عاملون على طريقتنا وانتظروا إنّا منتظرون . وتقرّر السّورة الكريمة في آخر آياتها أنّ لله تعالى وحده لا شريك له غيب السّماوات والأرض ، وأنّ إليه جلّ وعلا يُرْجع الأمر كلّه : ﴿ فاعبده وتوكّل عليه . وما ربّك بغافلٍ عمّا تعملون ﴾ .

التّفسـيـر

« الله تعالى الرّزّاق العليم الخالق ،
وجنس الإنسان يئوسٌ في الضّرّاء ،
فخورٌ في السّرّاء إلّا المؤمنين »
الآيات (٦ ـ ١١)

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾

وما من دابّة : الدّابّة الفاعلة من دبّ فهو يدبّ وهو دابّ وهي دابّة[1] والدّبّ والدّبيب مشيٌ خفيف[2] أخبر تعالى أنّه متكفّلٌ بأرزاق المخلوقات من سائر دوابّ الأرض صغيرها وكبيرها بحريّها وبرّيّها[3] والنّاس منهم[4] .

ويعلم مستقرّها ومستودعها : أي يعلم أين منتهى سيرها في الأرض ، وأين تأوي إليه من وكرها وهو مستودعها . وقال عليّ بن أبي طلحة وغيره عن ابن عبّاس : ويعلم مستقرّها : أي حيث تأوي . ومستودعها : حيث تموت . وعن مجاهد : مستقرّها : في الرّحم . ومستودعها : في الصّلب كالّتي في الأنعام . وكذا روي عن ابن عبّاس والضّحّاك وجماعة[5] .

كلٌّ في كتابٍ مبين : في كتابٍ عند الله مبين عن جميع ذلك[6] هو اللّوح المحفوظ[7] .

تقرّر الآية الكريمة أنه ما من دابّةٍ تدبّ في الأرض وتتحرّك فيها وتضطرب في أثنائها إلّا على الله تعالى رزقها الّذي تكفّل به . يستوي في ذلك صغيرها وكبيرها ، برّيّها وبحريّها ، بما في ذلك الطّائر لأنّه كما يطير يقع . وتقرّر الآية الكريمة كذلك أنّ الله سبحانه وتعالى يعلم مستقرّ كلّ دابّةٍ ومستودعها ، وأنّ كلّ ذلك مدوّنٌ في كتابٍ مبين عن كلّ ذلك هو اللّوح المحفوظ . وحينما ننظر إلى المستقرّ والمستودع من زاوية المخلوق الّذي يدبّ على ظهر الأرض فعلاً نستطيع أن نفهم المستقرّ بأنّه موضع الاستقرار ومنتهى السّير في هذه الأرض ، وأن نفهم المستودع بأنّه مأواها ليلاً أو نهاراً حال حياتها ، وحيث تموت وتدفن بعد موتها . وحينما ننظر إلى المستقرّ والمستودع من زاوية معناهما المطلق نستطيع أن نضيف إلى هذه المعاني معنى

---

(١) تفسير الطّبريّ ٣/١٢ .
(٢) مفردات الرّاغب الأصفهانيّ : « دبّ » ١٦٤ .
(٣) تفسير ابن كثير ٤٣٦/٢ .
(٤) تفسير الطّبريّ ٣/١٢ .
(٥) تفسير ابن كثير ٤٣٦/٢ وانظر تفسير الطّبريّ ٣/١٢ ، ٤ .
(٦) تفسير ابن كثير ٤٣٦/٢ .
(٧) الجلالين .

المستقرّ والمستودع في الآية الكريمة الثّامنة والتّسعين من سورة الأنعام . قال تعالى : ﴿ وهو الّذي أنشأكم من نفسٍ واحدةٍ فمستقرٌّ ومستودع . قد فصّلنا الآيات لقومٍ يفقهون ﴾ إنّ المستقرّ للنّطفة وللولد في الأرحام . وإنّ المستودع للنّطفة وللذّرّيّة في الأصلاب .

وإنّ مِنْ ألطف ما يمكن الاستئناس به دليلاً على تكفّل الله تعالى لكلّ دابّةٍ في الأرض برزقها ضرباً من الفأر يُدْعى الخُلْد[1] بتثليث الخاء فيقال الخُلْد والخَلْد والخِلْد . يقول الجاحظ في موضعٍ من كتاب الحيوان[2] عنه : « وأيّ شيءٍ أعجب من الخُلْد ، وكيف يأتيه رزقه وكيف يهيّأ له ما يقوته . وهو أعمى لا يُبصر ، وأصمّ لا يسمع ، وبليدٌ لا يتصرّف ، وأبله لا يعرف ! ومع ذلك أنّه لا يجوز باب جُحْرِه ، وأنّه لا يتكلّف سوى ما يجلب إليه رازقُه ورازقُ غيره » ويقول في موضع آخر[3] : « والخُلْد دُوَيْبّة عمياء صمّاء ، لا تعرف ما يدنو منها إلّا بالشّمّ ، تخرج من جُحْرها ، وهي تعلم أن لا سمع ولا بَصَرَ لها ، وإنّما تَشْحَا (تفتح) فاها وتقف على باب جُحْرها فيجيء الذّباب فيسقط في شِدْقها ، ويمرّ بين لَحْيَيْها[4] فتسدّ فمها عليه ، وتستدخله بجَذْبة النّفَس . تعلم أنّ ذلك هو رزقها وقَسْمُها . فهي تعرض لها نهاراً دون اللّيل ، وفي السّاعات من النّهار الّتي يكون فيها الذّباب أكثر . لا تُفرّط في الطّلب ولا تقصّر في الطّلب ، ولا تخطئ الوقت ، ولا تغلط في المقدار » .

وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾

تقرّر الآية الكريمة أنّ الله سبحانه وتعالى هو وحده لا شريك له الّذي خلق السماوات والأرض على غير مثالٍ سابق في ستّة أيّام ، الله تعالى أعلم بحقيقتها ، وكان عرشه جلّ وعلا على الماء ، وقد جاء في حديث عمران بن حصين في بدء الخلق : كان الله ولم يكن شيءٌ قبله

(١) انظر الحيوان للجاحظ ٥/٢٦٠ و٣٠٠ .
(٢) ٢/١١٢ .
(٣) الحيوان ٦/٤١١ .
(٤) اللَّحْي عظم الحنك الذي عليه الأسنان .

وكان عرشه على الماء ثمّ خلق السّماوات والأرض[1] ولمّا كان ربّ العزّة إنّما خلقنا وسخّر لنا ما في السّماوات وما في الأرض ليختبرنا جلّ وعلا أنشكر أم نكفر ، أنفرده جلّ وعلا بالعبادة أم نشرك ، فقد جاء النّصّ في الآية الكريمة على الهدف من عمليّة الخلق : ﴿ ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً ﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال : قال الله عزّ وجلّ : أنْفِق أُنْفِق عليك . وقال : يد الله مَلأى لا تغيضُها[2] نفقة ، سحّاءُ[3] اللّيلَ والنّهارَ[4] وقال : أرأيتم ما أنفق منذ خلق السّماءَ والأرض فإنّه لم يَغِضْ[5] ما في يده ، وكان عرشه على الماء ، وبيده الميزان يَخْفِضُ ويرفع[6] وقال ابن عبّاس : إنّما سمّي العرش عرشاً لارتفاعه[7] . وقال محمّد بن إسحاق في قوله تعالى : وهو الّذي خلق السّماواتِ والأرض في ستّة أيّام وكان عرشه على الماء : فكان كما وصف نفسه تعالى ، إذ ليس إلّا الماء وعليه العرش ، وعلى العرش ذو الجلال والإكرام ، والعزّة والسّلطان ، والملك والقدرة ، والحلم والعلم ، والرّحمة والنّعمة ، الفعّال لما يريد[8] وعن سعيد بن جبير قال : سئل ابن عبّاس عن قول الله : وكان عرشه على الماء ، على أيّ شيءٍ كان الماء ؟ قال : على متن الرّيح[9] .

وبشأن ترتيب مراحل خلق السّماوات والأرض نودّ من ناحيةٍ أن نشير إلى بعض آي الذّكر الحكيم التي تحدّثت عن عمليّة الخلق هذه ، ونودّ من ناحيةٍ أخرى أن نشير إلى رأي ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما في ترتيب مراحل هذه العمليّة . جاء في سورة فُصّلت[10] قوله تعالى : ﴿ قُلْ أئنّكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً . ذلك ربّ العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتَها في أربعة أيّام[11] سواءً للسّائلين . ثمّ استوى إلى السّماء وهي دُخانٌ فقال لها وللأرض ائتيا طَوْعاً أو كَرْهاً قالتا أتينا

---

(١) فتح الباري ٣٩٥/١٣ في أثناء شرح الحديث رقم ٧٤١١ .
(٢) لا تغيضها : لا تنقصها . الفتح .
(٣) سحّاء : دائمة الصّبّ . الفتح .
(٤) اللّيل والنّهار : بالنّصب على الظّرف أي فيهما ويجوز الرّفع . الفتح .
(٥) لم يَغِض : لم ينقص . الفتح .
(٦) صحيح البخاريّ ٩٢/٦ وفتح الباري ٣٩٣/١٣ حديث رقم ٧٤١١ .
(٧) تفسير ابن كثير ٤٣٧/٢ .
(٨) تفسير ابن كثير ٤٣٧/٢ وطبعة دار الشّعب ٢٤١/٤ .
(٩) تفسير ابن كثير ٤٣٧/٢ وتفسير الطّبريّ ٥/١٢ .
(١٠) الآيات ٩ ــ ١٢ .
(١١) المعنى : في تمام أربعة أيّام . الجلالين .

طائعين . فقضاهنّ سبع سماواتٍ في يومين وأوحى في كلّ سماءٍ أمرها . وزيّنّا السّماء الدّنيا بمصابيح وحفظاً . ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ وجاء في سورة النّازعات[1] قوله تعالى : ﴿ أأنتم أشدّ خلقاً أم السّماء بناها . رَفَعَ سَمْكَها فسوّاها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال أرساها . متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ عن ابن عبّاس قوله حيث ذكر خلق الأرض قبل السّماء ثمّ ذكر السّماء قبل الأرض وذلك أنّ الله خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السّماء . ثمّ استوى إلى السّماء فسّواهنّ سبع سماوات . ثمّ دحا الأرض بعد ذلك . فذلك قوله : والأرض بعد ذلك دحاها »[2] .

وإنّه بالجمع بين آيات سورتي فصّلت والنّازعات يُفْهَمُ أنّ الأرض خُلِقت في يومين اثنين ، ثمّ خُلِقَتِ السّماء في يومين اثنين ، ثمّ هيّئت الأرض للسُّكْنى في يومين اثنين تمام أربعة أيّامٍ نصيباً للأرض وحدها .

وإنّما تعمّدنا الوقوف مليّاً عند هذه المسألة بسبب عدم انتباه بعضهم إلى أنّ معنى القول في سورة فصّلت : ﴿ في أربعة أيّام ﴾ في تمام أربعة أيّام وظنّهم أنّ القول : ﴿ في أربعة أيّام ﴾ ليس على البلاغة بالحذف إنّما على الحقيقة وبذلك يكون مجموع الأيّام ثمانيةً ! ولا يخفى ما في هذا الرّأي من السّذاجة في حقّ حسنى الطّويّة ، ومن المكر في حقّ سيّئي الطّويّة .

ومن الكتب القيّمة التي لم تنبّه على هذا المظهر من إعجاز القرآن الكريم في البلاغة بالحذف لوضوح المعنى كتاب : القرآن الكريم والتّوراة والإنجيل والعلم ، دراسة الكتب المقدّسة في ضوء المعارف الحديثة . موريس بوكاي . إنّ اكتفاء المؤلّف الفاضل بذكر ما أعلنه سيّئو الطّويّة من التّناقض بين آيات سورة فصّلت وبين التّصريح القائل بفترات الخلق السّتّ أو بالأيّام السّتّة ، وعدم تنبيهه على أنّ المعنى بإجماع المفسّرين : « في تمام أربعة أيّام » يحملنا من ناحيةٍ على تأكيد الطّلب بضرورة التّنبيه على هذا المعنى في الصّفحة السّتّين والحادية والسّتّين بعد المائة من التّرجمة العربيّة للكتاب[3] وفي أصل الكتاب وهو باللّغة الفرنسيّة وفي

---

(١) الآيات : ٢٧ ــ ٣٣ .

(٢) تفسير الطّبريّ ٢٩/٣٠ وقد بيّنّا هذه المعاني في كتابنا : تأمّلات في سورة النّازعات ٦٩ ــ ٨٣ الطّبعة الثّالثة ــ مكّة المكرّمة ١٤١٢هـ .

(٣) القرآن الكريم والتّوراة والإنجيل والعلم . دراسة الكتب المقدّسة في ضوء المعارف الحديثة . موريس بوكاي . دار المعارف بمصر ١٩٧٩م .

سائر التّرجمات لهذا السِّفر العظيم ، كما يحملنا من ناحيةٍ أخرى على تأكيد الطّلب بأنّ مثل هذا الكتاب العظيم المنصف للقرآن الكريم المبيّن صدقه في كلّ ما جاء به بحاجةٍ إلى أن يفحصه قبل إجازته ـ أو بعد إجازته على الفور ـ علماء متخصّصون تحت إشراف الأزهر الشّريف ورابطة العالم الإسلاميّ والرّئاسة العامّة لإدارات البحوث العلميّة والإفتاء والدّعوة والإرشاد وما ماثلها من صروحٍ علميّة متخصّصة . والله تعالى الهادي والموفّق للصّواب .

وفي أسلوب القَسَم المؤكّد تقرّر الآية الكريمة أنّ المصطفى ﷺ إن قال لمنكري البعث والله إنّكم مبعوثون من بعد الموت ليقولنّ الذي كفروا « ما هذا الذي تتلوه علينا ممّا تقول إلّا سحرٌ لسامعه مبينٌ حقيقته أنّه سحر »(١) .

وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾

إلى أمّةٍ معدودة : عن ابن عبّاس : إلى أجلٍ محدود(٢) .

ما يحبسه : أيّ شيء يمنعه(٣) ويؤخّره(٤) .

وحاق بهم : ونزل بهم وأصابهم(٥) .

يبشّر المصطفى ﷺ المؤمنين بالحياة الطّيّبة في الأولى والآخرة ، وينذر الكافرين بالعذاب الأليم في الأولى والآخرة وبالحياة السّيّئة فيهما . ولئن أخّر الله سبحانه وتعالى العذاب إلى أجلٍ معدود وموعدٍ مضروب وأمدٍ محدود ليقولنّ منكرو البعث ما الذي حبس العذاب ومنعه ، أخّره وأجّله ، بدلاً من أن يستغفروا الله تعالى ويتوبوا إليه جلّ وعلا توبةً نصوحاً ويؤمنوا ويعملوا الصّالحات . ومن البيّن مجيء القسم المؤكّد : « ولئن » في أثناء الآية الكريمة السّابقة ، وفي بداية الآية الكريمة هذه وبداية الآيتين الكريمتين اللّاحقتين التّاسعة والعاشرة . ومن البيّن أنّ منكري البعث يستبطئون نزول العذاب من باب الاستهزاء . وفي مقابل

---

(١) تفسير الطّبريّ ٥/١٢ .

(٢) تفسير الطّبريّ ٥/١٢ .

(٣) تفسير الطّبريّ ٦/١٢ .

(٤) تفسير ابن كثير ٤٣٨/٢ .

(٥) تفسير الطّبريّ ٦/١٢ .

الاستهزاء يأتي التّهديد الممهّد له بأداة التّنبيه : « ألا »[٥] المؤكّدة لفحوى التّنبيه المنبّهة إلى أنّ طغيان منكري البعث قد تجاوز كلّ مدى . إنّ الآية الكريمة تقرّر في شقّها الثّاني بأنّ العذاب الّذي يستهزئون به ، يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم وسينزل بهم ويحلّ في ساحتهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون . ويلاحظ مجيء جملة « يأتيهم » التي تستعمل في القرآن الكريم دليلاً على البُعْد وذلك في القول : ﴿ ألا يوم يأتيهم ﴾ إنّ مجيء هذه الجملة هنا ينبّه من ناحيةٍ إلى استبعاد المكذّبين نزول العذاب بهم ، وينبّه من ناحيةٍ أخرى إلى أنّ المكذّبين يفسّرون إمهال الله تعالى لهم ورحمته التي وسعتهم بتأخير العذاب عنهم تفسيراً معكوساً . إنّهم يستبطئون نزول العذاب بهم بدلاً من أن يشكروا لله تعالى نعمه العظيمة وآلاءه الجسيمة عليهم . إنّ العذاب يوم يأتي ليس مصروفاً عنهم ولن يخطئهم بإذن الله تعالى .

وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾

تؤكّد الآية الكريمة في أسلوب القَسَم أنّ جنس الإنسان الكفور للنّعم لئن أذاقه الله تعالى منه رحمةً من صحّة وسعة رزقٍ وجاهٍ وما إلى ذلك ، ثمّ نزعها الله تعالى القادر على كلّ شيء منه ، وسلبه إيّاها ، فإنّه يئوسٌ قنوطٌ من رَوْح الله تعالى بمعنى رحمته جلّ وعلا في المستقبل ، وقد قال تعالى[٦] : ﴿ إنّه لا ييأس من رَوْحِ الله إلّا القومُ الكافرون ﴾ كفورٌ لنعم الله تعالى عليه في الماضي ، جحودٌ كنود . وفي مقابل يأس الكافر من رحمة الله تعالى في وقت الشّدّة بخاصّة ، وكفره نعمه جلّ وعلا ، في وقت الرّخاء بخاصّة ، هنالك تفاؤل المؤمن واستبشاره وطمعه في رحمة الله تعالى ، وهنالك شكره لله تعالى على النّعم والآلاء ، على نحو ما سيبيّن السّياق .

---

(١) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٩٨/٦ .

(٢) سورة يوسف ٨٧ .

وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾

إنّ جنس الإنسان الكفور حينما أذاقه الله تعالى رحمته كفر تلك النّعم والآلاء و : ﴿ قال إنما أوتيته على علم ﴾[1] ! وحينما مسّه الله تعالى بضرّ يئس من رحمة الله تعالى التي وسعت كلّ شيء . فإذا أذاق الله تعالى ذلك الإنسان الحُوَّل القُلَّب نعماء من صحّةٍ وثراءٍ وجاه ، بعد ضرّاء مسّته من مرضٍ وفقرٍ وخمول ذكر ، فإنّ ذلك الإنسان ليقولنّ ذهب السّيّئات عنّي إلى غير رجعة ، ومرّ كأن لم يدع الله تعالى لضرّ مسّه ، وأهلك الحرث والنّسل . إنّ ذلك الجنس من النّاس بسبب النّعماء التي أذاقه الله تعالى إيّاها لفرِحٌ في ذاته أشدّ الفرح يضرب الأرض بقدميه إذا مشى ، وكأنه يريد أن يخرق الأرض ، فخورٌ على عباد الله تعالى متعالٍ مستكبر ، وكأنّه يريد أن يبلغ الجبال طولاً ، يقول دائماً وأبداً بلسان المقال أو بلسان الحال : ﴿ ذهب السّيّئات عنّي ﴾ إنّ السّيّئات في التّصوّر السّقيم لذلك الفرح الفخور هي التي ذهبت بذاتها ! إنّه يجهل أو يتجاهل أنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي أذهب السّيّئات عنه ولكن علينا ألّا ننسى أنّنا بصدد جنسٍ من النّاس فرحٍ فخور .

إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾

تستثني الآية الكريمة من تلك الصّفات الذّميمة المؤمنين الذين صبروا وعملوا الصّالحات . والمعروف أنّ الصّبر ثلاثة أنواع . صبرٌ على البلاء ، وصبرٌ عن المعاصي ، وصبرٌ على عمل الطّاعات والصّالحات . وكأنّ القول هنا : ﴿ إلّا الذين صبروا ﴾ يشمل الصّبر على البلاء في المقام الأوّل بسبب القول بعد ذلك : ﴿ وعملوا الصّالحات ﴾ الذي يشمل الصّبر على الطّاعات . والعادة جرت أنّ الصّبر على الطّاعات يعني الصّبر عن المعاصي .
وتقرّر الآية الكريمة أنّ أولئك المؤمنين الذين صبروا وعملوا الصّالحات لهم مغفرةٌ من الله

(١) سورة الزّمر ٤٩ .

تعالى لذنوبهم : ﴿ ومَنْ يغفر الذّنوب إلّا الله ﴾[1] ولهم أجرٌ كبيرٌ من الله تعالى الشّكور لعباده الذين يعملون الصّالحات ويجتنبون السّيّئات .

في الصّحيحين : والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاءً إلّا كان خيراً له . إن أصابته سرّاء فشكر كان خيراً له ، وإن أصابته ضرّاء فصبر كان خيراً له ، وليس ذلك لأحدٍ غير المؤمن[2] .

وإلّا في الآية الكريمة بمعنى لكن[3] في رأي بعضهم .

---

(١) سورة آل عمران ١٣٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤٣٨/٢ وانظر رياض الصّالحين ٣٥ .

(٣) انظر مثلاً معاني القرآن للأخفش ٣٥٠/٢ والجلالين وانظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٢١٠/٦ .

« الرّسول نذيرٌ بكلّ القرآن المتحدَّى بعشر سورٍ مثله ووجوب الإخلاص في العمل »

الآيات (١٢ ـ ١٦)

فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

إليك ابتداءً هذا الكلام القيّم للرّاغب الأصفهانيّ بشأن : « لعلّ » يقول رحمه الله تعالى رحمةً واسعة[1] : « لعلّ طمعٌ وإشفاق . وذَكَرَ بعض المفسّرين أنّ لَعَلّ من الله واجب ، وفُسِّر في كثيرٍ من المواضع بِكَيْ ، وقالوا : إنّ الطّمع والإشفاق لا يصحّ على الله تعالى . ولَعَلَّ وإن كان طمعاً فإنّ ذلك يقتضي في كلامهم تارةً طمع المخاطب ، وتارةً طمع غيرهما . فقوله تعالى فيما ذَكَر عن قوم فرعون : لعلّنا نتّبع السّحرة ، فذلك طمعٌ منهم . وقوله في فرعون : لعلّه يتذكّر أو يخشى ، فإطماعٌ لموسى عليه السّلام مع هارون . ومعناه : فقولا له قولاً ليّناً راجِيَيْن أن يتذكّر أو يخشى . وقوله تعالى : فلعلّك تاركٌ بعضَ ما يوحَى إليك ، أي يَظُنّ بك النّاس ذلك . وعلى ذلك قوله : فلعلّك باخعٌ نفسك » .

والحقيقة أنّ القول في الآية الكريمة : ﴿ فلعلّك تاركٌ بعض ما يُوحى إليك وضائقٌ به صدرك ﴾ وإن كان يبيّن مِنْ ناحيةٍ مُنَى المشركين أن يترك المصطفى ﷺ تبليغ بعض ما أوحى الله تعالى إليه وأن يضيق بتبليغ ذلك صَدْرُ المصطفى ﷺ فإنّ هذا القول من ناحيةٍ أخرى نهيٌ من ربّ العزّة للمصطفى ﷺ أن يترك تبليغ بعض ما أوحى الله تعالى به إليه من قرآنٍ كريم ، وأن يضيق بذلك التّبليغ صدرُك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم لقولهم لولا أنزل عليه كنزٌ أو جاء معه ملك[2] ومخافة أن يقولوا ذلك[3] وإنّ في هذه الآية الكريمة من سورة الأعراف الدّليل على ما نقول . قال تعالى[4] : ﴿ المص . كتابٌ أُنْزل إليك فلا يكن في صدرك حَرَجٌ منه لتنذر به وذِكْرَى للمؤمنين ﴾ والعجيب في أهل مكّة وهم أرباب الفصاحة وأئمّة البيان أنّهم يعرضون عن القرآن الكريم ، معجزة المصطفى ﷺ الكبرى الخالدة ، ويطلبون معجزاتٍ ماديّةً حسّيّةً كأن يَنْزل عليه ﷺ من السّماء كنزٌ ، أو يجيء معه ﷺ مَلَكٌ من السّماء كذلك يشهد بأنّ المصطفى ﷺ رسول ربّ العالمين ! ومن

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني : « لعلّ » ٤٥١ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤٣٩/٢ .

(٣) تفسير الطّبريّ ٧/١٢ .

(٤) سورة الأعراف ١ ، ٢ .

البيّن بشأن الكنز منزلة الذّهب المتأخّرة بالقياس إلى القرآن الكريم ، وبشأن نزول الملك اقتصار رؤية الملك ــ لو تحقّق الاقتراح ونزل الملك ــ على فئةٍ معيّنة هي التي رأته بحضرة المصطفى ﷺ . أين هذه الآية المحدودة الزّمن بالقياس إلى آية القرآن الكريم الخالدة إلى يوم الدّين . ولا ننسى أنّ طبيعة البشر لا تألف طبيعة الملك فكيف يتسنّى الانتفاع من هذه الآية لو تحقّقت ، وفي هذا المعنى وفي الرّدّ على القوم جاء قول الحقّ في سورة الأنعام[1] : ﴿ وقالوا لولا أُنْزِل عليه مَلَك . ولو أنزلنا مَلَكاً لَقُضِيَ الأمر ثمّ لا يُنْظَرون . ولو جعلناه مَلَكاً لجعلناه رجلاً وللَبَسْنا عليهم ما يَلْبسون ﴾ .

إنّ الآية الكريمة تأمر المصطفى ﷺ بأن يبلّغ الرّسالة على الوجه الأكمل ، وأن ينذر الكافرين بين يدي عذابٍ شديد ، وأن يعلم عليه الصّلاة والسّلام أنّ مهمّته تقف عند البلاغ وحده ولا تتعدّاه وأنّ الله تعالى على كلّ شيءٍ وكيل : ﴿ إنّما أنت نذير . والله على كلّ شيءٍ وكيل ﴾ « يقول : والله القيّم بكلّ شيء وبيده تدبيره فانفذ لما أمرتك به ولا يمنعك مسئلتهم إيّاك الآيات من تبليغهم وَحْيي والنّفوذ لأمري »[2] جاء في هذه المعاني قوله عزّ من قائل في سورة الفرقان[3] : ﴿ وقالوا مالِ هذا الرّسول يأكل الطّعام ويمشي في الأسواق لولا أُنْزِل إليه مَلَكٌ فيكونَ معه نذيراً . أو يُلْقَى إليه كنزٌ أو تكونُ له جنّةٌ يأكل منها . وقال الظّالمون إن تتّبعون إلّا رجلاً مسحوراً . انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلّوا فلا يستطيعون سبيلاً ﴾ .

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾

بل أيقول كفّار مكّة إنّ محمّداً ﷺ افترى القرآن الكريم واختلقه من ذات نفسه وأنّ القرآن الكريم ليس موحًى به من ربّ العالمين كما يدّعي محمّد ﷺ ؟ قل لهم أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم فأتوا بعشر سورٍ فقط مثل القرآن الكريم مفترياتٍ من عند أنفسكم ومخترعاتٍ من بنات أفكاركم ، وادعوا لمساعدتكم من استطعتم دعوته للمساعدة في هذه المحاولة اليائسة البائسة ، واطلبوا عون كلّ من أمكنكم طلب عونه من دون الله تعالى الذي لا

---

(١) الآية ٨ ، ٩ .

(٢) تفسير الطّبريّ ٧/١٢ .

(٣) الآيات ٧ ــ ٩ .

يأمر بالفحشاء ولا يرضى عن عملكم إن كنتم صادقين في زعمكم أنّ محمّداً ﷺ قد افترى القرآن الكريم .

ويلاحظ مجيء جملة : « فأتوا » هنا وفي كلّ مواطن التّحدّي بالقرآن الكريم . والمعروف أنّ جملة « أتى » لا تستعمل في القرآن الكريم إلّا دليلاً على البعد . والمعروف كذلك أنّ التّحدّي كان بالقرآن الكريم كاملاً . قال تعالى[1] : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً ﴾ ثم كان التّحدّي بطلب الإتيان بعشر سور مثل القرآن الكريم ، وذلك في هذه الآية الكريمة من سورة هود . ثمّ كان التّحدّي بطلب سورةٍ مثله أو من مثله . قال تعالى[2] : ﴿ أم يقولون افتراه . قل فأتوا بسورةٍ مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ وقال تعالى[3] : ﴿ وإن كنتم في ريبٍ ممّا نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورةٍ من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتّقوا النّار التي وَقودها النّاس والحجارة أُعِدَّت للكافرين ﴾ .

فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾

يصحّ أن يكون معنى الآية الكريمة على النّحو التّالي ـ والله أعلم ـ فإن لم يستجب المشركون لكم أن يأتوا بمعاونة الذين استطاعوا طلب العون منهم من دون الله تعالى على أن يأتوا بعشر سور مثل القرآن الكريم مفترياتٍ من ذوات أنفسهم فاعلموا أيّها المؤمنون أنّ القرآن الكريم إنّما أُنزِل بعلم الله تعالى ، وأنّه جلّ وعلا لا إله إلّا هو ، فهل أنتم أيّها المشركون بعد هذه الآيات البيّنات مسلمون لله ربّ العالمين موحّدون ؟ والمعنى أسلموا وأفردوه جلّ وعلا بالعبادة . وكأنّ هذا هو معنى الآية الكريمة .

ويصحّ أن يكون معنى الآية الكريمة على النّحو التّالي ـ والله أعلم ـ فإن لم يستجب لكم أيّها المشركون من استطعتم دعوته لمساعدتكم في الإتيان بعشر سورٍ مثل القرآن الكريم مفترياتٍ من ذوات أنفسكم فاعلموا أيّها المشركون أنّما أنزل بعلم الله تعالى ، وأنّه جلّ وعلا

---

(١) سورة الإسراء ٨٨ .

(٢) سورة يونس ٣٨ .

(٣) سورة البقرة ٢٣ ، ٢٤ .

لا إله إلّا هو فأسلموا أيّها المشركون لله تعالى ربّ العالمين وأفردوه جلّ وعلا بالعبادة .

ولمّا كان الإسلام لله ربّ العالمين يعني أنّ الأعمال الصّالحة بمقياس الإسلام ينبغي أن يريد المسلم بها وجه ربّه الأعلى وإلّا كانت باطلة فإنّ الآيتين الكريمتين التّاليتين تتحدّثان في هذه المعاني .

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

لا يُبْخسون : لا يُظْلمون(١) .

وحبط ما صنعوا فيها : وذهب ما عملوا في الدّنيا(٢) .

وباطلٌ ما كانوا يعملون : لأنّهم كانوا يعملون لغير الله فأبطله الله(٣) .

ثمّة شرطان ينبغي توافرهما في الأعمال الصّالحة التي يقوم بها المسلم لله ربّ العالمين كي يتفضّل الله تعالى بقبولها . الشّرط الأوّل أن تكون الأعمال صالحةً صواباً بمقياس الإسلام كما بيّنها القرآن الكريم وسنّة المصطفى ﷺ . والشّرط الآخر أن يراد بتلك الأعمال الصّالحة وجه الله تعالى وحده لا شريك له وليس أيّ عرضٍ من أعراض الدّنيا من جاهٍ ومنصبٍ ونباهة ذكرٍ وحسن أحدوثة . وما إلى ذلك(٤) . عن أمير المؤمنين أبي حفصٍ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنّما الأعمال بالنّيات وإنّما لكلّ امرىءٍ ما نوى ، متفقٌ على صحّته(٥) وعن أبي موسى عبد الله بن قيسٍ الأشعريّ رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ عن الرّجل يقاتل شجاعةً ويقاتل حميّةً(٦) ويقاتل رياءً أيّ ذلك في سبيل

---

(١) تفسير الطّبريّ ٩/١٢ .

(٢) تفسير الطّبريّ ١٠/١٢ .

(٣) تفسير الطّبريّ ١٠/١٢ .

(٤) انظر مثلاً : الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر لابن تيمية ٢٧ تحقيق صلاح الدّين المنجّد ، دار الكتاب الجديد . بيروت . لبنان . الطبعة الأولى ١٩٧٦م ١٣٩٦هـ .

(٥) رياض الصّالحين ٤ ، ٥ وانظر صحيح البخاريّ ٢/١ .

(٦) حَمِيَّةً : أَنَفَة .

الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : من قاتل لتكون كلمة الله هي العُلْيا فهو في سبيل الله ، متّفق عليه[1] .

إنّ الآية الكريمة الأولى تقرّر أنّ من كان يريد بأعماله الصّالحة الحياة الدّنيا وزينتها فإنّ الله سبحانه وتعالى سيوفّي إليهم أجور أعمالهم[2] في الدّنيا وهم فيها لا يُبخَسون ولا يُظْلمون ولا يُنْقَصون شيئاً من أجور أعمالهم .

وإنّ الآية الكريمة الأخرى تقرّر بأنّ أولئك هم الذين ليس لهم في الآخرة إلّا النّار وذهب سُدًى ما صنعوا فيها من أعمالٍ لم يريدوا بها وجه الله تعالى ، وباطلٌ ما كانوا يعملون من أعمال صالحةٍ بمقياس الإسلام فكيف بالأعمال الباطلة أصلاً بمقياس الإسلام ، لأنّها سيّئةٌ بمقياسه .

جاء بشأن من أراد العاجلة وأراد الآجلة قول الحق جلّ وعلا في سورة الإسراء[3] : ﴿ من كان يريد العاجلة عجّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثمّ جعلنا لهم جهنّم يصلاها مذموماً مدحوراً . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمنٌ فأولئك كان سعيهم مشكوراً . كلًّا نُمِدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربّك وما كان عطاء ربّك محظوراً . انظر كيف فضّلنا بعضهم على بعض . وللآخرة أكبر درجاتٍ وأكبر تفضيلاً ﴾ .

وبشأن أعمال الكافرين التي ذهبت هباءً بسبب شركهم جاء قول الحقّ في سورة الفرقان[4] : ﴿ وقَدِمْنا إلى ما عملوا مِنْ عَمَلٍ فجعلناه هباءً منثوراً ﴾ .

---

(١) رياض الصّالحين ٧ وانظر صحيح البخاريّ ١/٤٣ .

(٢) تفسير الطّبريّ ١٢/٨ .

(٣) الآيات ١٨ ـ ٢١ .

(٤) الآية ٢٣ .